

حِلف "الناتو العربي" السُّني "يتبلاوَر" بسُرعةٍ وتَدشِينه أوّل العام الجديد.. بومبيو يَكشِف تفاصيله لنُظرائه الخَليجيين علاوةً على الأُردنيِّ والمِصريِّ في نيويورك.

لماذا اقتَصَرَ على السُّنّة المَشارِقَة واستَئذَى الاتِّحاد المِغاربيِّ كُلياً؟ وهل يَكفي العَداء لإيران كاستراتيجيةٍ لاجِمَة؟ وما الذي سيَعُود على الأُردن مِن عَضُوبِته؟
عبد الباري عطوان

يبدو أن حِلف "الناتو" العَرَبِيَّ الأَمْرِيكِيَّ الذي كَشَفَ الرئِيس دونالد ترامب عن عَزَمِهِ إقامته، ويَضُمُّ دُوَل الخَلِيج العَرَبِيَّ السُّنِّيَّ، إلى جانِب مِصر والأُردن، للتَّصَدِّي لإيران والدِّفاع عن مَصالِح بلاده في الشرق الأوسط، وذلك في خِطابِه أمام الجُمعيَّة العامَّة للأُمم المتحدَة قبل ثلاثة أيَّام، بدأ يتبلور عملياً، ويَندَتَقِل من خانة المُقتَرَحات والأفكار، إلى ميدان التَّطبيق العمليِّ، سواء في مِنطَقة الخَلِيج أو الوِلايات المتحدَة نَفسِها.

صحيفة "ذا ناشونال" الإماراتيَّة التي تَصَدُر في أبو ظبي باللُّغَة الإنكليزيَّة، ويُعَدُّها مُقرَّبَة جِدًّا من الشِخ محمد بن زايد، وليِّ عهد إمارة أبو ظبي، كشفت يوم أمس (الخميس) أن تيم ليندر كينغ، مُساعد وزير الخَارجيَّة الأَمْرِيكِيَّ لشُؤون الخَلِيج، أمضى الأسابيع الثَلَاثة الماضِيَة للتَّمهيد لوَضْعِ أُسس هذا الحِلف الاستراتيجيِّ الجَدِيد، والتَّحضير لقمَّةٍ تَضُمُّ الدُّوَل الثَّماني المَذكُورة آنِفًا في واشنطن مَطلَع العام المِيلاديِّ الجَدِيد لانطلاقه رَسميًّا.

المِستر ليندر كينغ أكَّد أن رِيسه مايك بومبيو، وزير الخَارجيَّة الأَمْرِيكِيَّ، سيَجتمع اليوم الجُمعة على هامِش اجتماعات الجُمعيَّة العامَّة بنُظرائه وزراء خَارجيَّة الدول الثَّماني لوَضعِهِم في أجواء التَّحضيرات لهَذِهِ المنظومة الأَمْنِيَّة، الجَدِيدَة، وقد حصل الاجتماع اليوم في نيويورك فِعْلاً، وشَدَّد بومبيو لوزراء خَارجيَّة الدُّوَل الثَّماني على صَبره "إلحاق الهزيمة بتنظيم "الدولة الإسلاميَّة" أو "داعش" و"القاعدة"، والجَماعات الإرهابيَّة الأُخرى، وإرساء السَّلام والاستقرار في سورية"، وأعلَّنت وزارة الخَارجيَّة "أن جميع المُشارِكين في اللِّقاء كانوا

مُتَّفِقِينَ عَلَى ضَرُورَةِ مُوَاجَهَةِ التَّهْدِيدَاتِ الَّتِي تُمَثِّلُهَا إِيرانُ ضِدَّ المِنطَاقَةِ والوِلايَاتِ المِثقَة .

العاصمة السعودية الرياض التي تبلورت فكرة هذا "الناتو العربي" في دهاليز قيمتها الإسلامية التي نزعها الرئيس ترامب في زيارته الخارجية الأولى بعد فوزه في أيار (مايو) عام 2017، قد تكون المقر الرسمي لهذه المنظومة الجديدة التي ستحمل اسم "تحالف الشرق الأوسط الاستراتيجي"، أو "MESSA" باللغة الإنكليزية، على غرار "NATO".

هناك عِدَّة ملاحظات نَجِد لِرِزامًا عَلينا طَرحها حول هَذِهِ المَنظومة، وفُرَص نَجَاحِها، والأخطار التي يُمكن أن تَتَرَتَّبَ على قيامها رَسميًّا في الأَشهُر المُقبِلَة:

– أوَّلاً: أن هَذِهِ المُنطَاقَة تَأْتِي لِإحداثِ انقسامات جُغرافيَّة وعِرقِيَّة وطائفيَّة في مِنطَاقَة الشرق الأوسط والعالم العربي، فعلى المَصَّعِد الجُغرافي ستَفصل المشرق العربي عَن المَغرب العربي أو شمال إفريقيا، وهذا ما يُفَسِّر عدم ضم المَغرب المَلِكِي الأمريكي الهَوِي والمُعادي لإيران عن هذا التحالف، وكذلك سيَضع الدول الثمانيَّة السنيَّة في مُواجهة الدول التي تُشكِّل محور المَقاومة بزعامَة إيران، ومُحاولة إضفاء الوَصفَة الطائفيَّة الشيعيَّة على هذا المَحور، ونحن نتحدَّث هُنا عن اليمن وسورية والعراق ولبنان إلى جانب إيران أيضًا، أمَّا دُول مثل السودان والصومال وجيبوتي فلاها □.

– ثانيًا: مَواقِف هَذِهِ الدول الثمانيَّة غير مُتجانسة (حتَّى الآن) حول العديد من القضايا مثل اليمن والأزمة الخليجيَّة التي تتمحور حول الخِلاف القطري مع أربَع من دول التحالف الجديد (السعودية، الإمارات، البحرين، مصر)، وكذلك حول "الخَطَر الإيراني".

نَشْرَح أَكثَر ونقول أن ثلاث من دول مجلس التعاون، وهي الكويت وقطر وسلطنة عُمان، لا ترى في إيران خَطَرًا يُهدِّدُها، وكان لافِتًا أنَّها سارَعَت إلى إدانة العمليَّة "الإرهابيَّة" التي استهدفت العَرض العسكري في مدينة الأهواز جنوب غرب إيران، وهو الهُجوم الذي رَحَّبت بِه الدول الثلاث الأخرى علانيَّةً، بشكَلٍ مُباشِرٍ أو عبر تَغريداتٍ على وسائل التواصل الاجتماعي، والشَّيء نفسه يُقال عَن الحَرب في اليمن، والتَّبايُن الواضح في المَواقِف التي تَعكِّس انقسامًا رأسيًّا □.

– ثالثًا: مِن الواضح أن العَداءَ لإيران، وحِمايَة المَصالِح الأمريكيَّة في المِنطَاقَة، بِما في ذلك تخفيض أسعار النِفق، هُمَا اللُّحمة الأساسيَّة لهَذِهِ المَنظومة الجَديدة، فهل هَذِهِ اللُّحمة كافية لتَرسخ هَذِهِ المَنظومة، وبالتَّالي استمرارها.

– رابعًا: أينَ مكان إسرائيل في هَذِهِ المَنظومة، ومَواقِف الدول الأعضاء العربيَّة تُجاهها، فهل أخرجت هَذِهِ الدُّوَل نفسها مِن المِراع العربيِّ الإسرائيليِّ بشكَلٍ نِهائيِّ، وهل ستَتكون إسرائيل العَضو الخفيُّ أو المسكوت عنه، ومَتى ستُخرُج إلى العلانيَّة.

– خامسًا: كيف سيكون موقف دُول عَظْمَى مِثْل رُوسِيا والصين من هذا التَّحالف الاستراتيجيِّ، وأيضًا مَواقِف دُول إقْلِيميَّة رُئيسيَّة أُخْرَى في مَنطَقة الشرق الأوسط مِثْل تركيا والباكستان اللاتين تَسير علاقتهما مع الرئيس ترامب وإدارته وبسرعةٍ نحو التَّوتُّر، إن لم تَكُن في ذَروتِه؟

المؤلِّم أنَّ الذُّخَب، وما تَبَقَّى مِنَ الذُّخَب العربيَّة الفاعِلة، مُغَيَّبة كُلِّسيًّا عَن هذا التَّحالف الخَطير الذي يَطُل بِرأسِه بقُوَّةٍ، ويذُكِّرنا بحلف بغداد السَّيِّء الذِّكْر، حلف بغداد وجد من يتصدَّى له بقُوَّةٍ ويعمل على إفشالِه من خلال تعبئة جماهيريةٍ وطنيَّةٍ سياسيَّةٍ وإعلاميَّةٍ قويَّةٍ، لكن الحلف الجديد يُواجه بالدَّعم وأعمال التَّسويق النَّشِطة من ناحية، والصَّمْت أو اللامُبالاة مِنَ النِّاحية الأُخرى.

أمريكا تَضَعَط على إيران من أجل تحقيق هدفين، الأوَّل هو الوصول إلى الحوار والتوصل إلى تسوية، والثاني تغيير النَّظام، إذا تَعَدَّس تحقيق الهدف الأوَّل، والسُّؤال أين سيكون أعضاء حلف "الناتو" العربي في الحالين، فأیُّ تَسويةٍ أمريكيَّةٍ إيرانيَّةٍ مُستقبليَّةٍ ستأتي على حسابهم، وأي حرب نتيجة فَشَل هذه التَّسوية سيكونون وشُعبوهم وثوراتهم وُقودها.

سؤالٌ أخيرٌ نُوجِّهه إلى الأردن ونقول ما هي الفائدة التي ستعود إليه من جرَّاء الانضمام إلى هذا الحلف، وهو الذي اكتوى من نار التَّهميش ونُكران الجَميل من "أصدقائه" في مجلس التعاون الخليجي الذين أوقفوا عنه جميع المُساعدات الماليَّة، ووضعوه في مَواقِفٍ صِداميَّةٍ مع شَعبِه الذي لَجَأَ إليه بالصَّرائب لتعويض هذا العُقوقِ الخَلِيجيِّ.

هل سيُقدِّم الأردن وجيشه وأرضه وأمنه واستقراره، وربما بقاءه ككَيانٍ مجَّانًا في إطار انضمامه لهذا الحلف الجديد، وما يُمكن أن يترتَّب على هذه العُضويَّة مِنَ التَّزاماتِ أمنيَّةٍ وعسكريَّةٍ ودُّون عوائد ماليَّةٍ واقتصاديَّةٍ؟

إنَّها مَنظومة أمنيَّة عسكريَّة خطيرة جدًّا ستكون نتائجها مُدمِّرة على مَنطَقتنا وشُعبينا، وجرى اختيار مَرحِلة الضَّعف وشربه الانهيار التي تعيشها أمَّتنا لتَمريرها، والتَّعاطي مع 400 مليون عربيٍّ وكأنَّهم كَمٌّ مُهمَلٌ، ولا نُريد قول ما هُوَ أكثر من ذلك.